الترقي والتدلي في الحديث الشريف

د. عبدالوهاب حسين خلف

بِسْمِ اللهِ الرَحْمَنْ الرَحِيمْ

ملخص البحث

الْحَمْدُ للهِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ بُعِثَ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَفَوَاتِحِهِ وَخَوَاتِمِهِ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجَانِّ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الذِينَ فَاقُوا فِي الْفَصَاحَةِ قُسًّا وَسَحْبَانَ؛ أَمَّا بَعْدُ:

فإن لتراكيب الحديث النبوي سمات وخصائص يدركها المتمرس الخبير بطرق القول والتعبير، إذ يجد في تلك التراكيب من المزايا واللطائف والأسرار البلاغية مالا يكون لغيرها من التراكيب في كلام البشر.. فالحديث النبوي الشريف تفيض تراكيبه بأسرار ومزايا ولطائف نراها كامنة في المفردات والجمل، وتتنوع أساليبه في المفردات والتراكيب فنجد لهذا التنوع أغراضا بلاغية ومقاصد متنوعة، ونجد في هذه التراكيب مقاصد يُقصد إلى تحقيقها وأغراضا يُرمى إلى إفادتها والدلالة عليها، ونجد كذلك تنوع طرق التشويق إلى المعاني لتأكيدها وتثبيتها، إلى غير ذلك مما نجده كامنا في تراكيب في الهدي النبوي.. وسنتناول فيما يأتي دراسة مصطلح بلاغي رأيت أن قد غفل عنه الدارسون في بلاغة الحديث النبوي الشريف ولم أرَ من بحث في هذا المصطلح فيما وقفت عليه،فأدليت بدلوي لإبرازه، وتجلية ما يكمن فيه من معاني رائعة إضافة إلى بيان جمالية هذا المصطلح في المفردات والتراكيب وما تضمنه من أسرار، والكشف عما وراء هذا النوع وطرق التشويق إلى المعاني وتنوعها فيه وما تضمنته من مقاصد وأهداف.

فبلاغة الحديث الشريف عظيمة وبلاغتة تمتد بين الحرف والحرف نراها واضحة جلية تأخذ بالألباب وتأسر القلوب وتؤثر في كل مَن يقرأ أو يسمع شيئا منها وبسبب كل ذلك دفعتنا الرغبة إلى تلمس مواطن الجمال في عدد من أساليب البلاغة العربية في الحديث الشريف وإدراكها والفنية المتألقة فيها، والحاملة لقيم نبيلة رفيعة صافية صفاء نفس قائلها، والدارس

لحديثه – صلى الله عليه وسلم – بتدبر وتأنٍ وتفكير عميق يكتشف مناهج بيانية رائعة اكتنفت الحديث الشريف.

ومن هذه الأساليب أسلوب الترقي والتدلي في الحديث الشريف إذ إن العرب اتخذوا من مبدأ العكس أساساً للحكم بالجمال أو القبح على الفن القولي لأنه يحقق الملاءمة والتلاحم بين قسمي الكلام فمبدأ العكس مبدأ عام لجميع التراكيب اللغوية والبلاغية لأنه ما من تشبيه أو استعارة أو قصر أو فصل أو وصل الا ويبنى على فكرة العكس فهي ظاهرة جمالية تتفاوت في الظهور والخفاء في الأساليب والفنون البلاغية فضلاً عن أنها تمثل طريقة تفكير في البلاغة العربية وطبقاتها، فكل طبقة تعرف قيمتها وتميزها من خلال الطبقة الأدنى منها وعلى هذا بدأنا بحثنا بعنوان الترقي والتدلي في الحديث الشريف إذ لم أقف على من كتب في هذا الفن في الحديث الشريف فأدليت بدلوي لإبراز جمالية هذا الفن البلاغي من فنون البلاغة العربية وقد اقتضت خطة البحث تقسيمه على مبحثين وخاتمة النتائج كان المبحث الأول بعنوان الترقي وفنونه وأغراضه البلاغية وخصص المبحث الثاني لقسيم المبحث الأول وهو التدلي وأغراضه وأنواعه

المقدمة

يعد موضوع ثنائية التضاد الترقي والتدلي من المواضيع والمصطلحات التي تصب في جمالية اللغة العربية وبلاغتها فقد نظر علماء البلاغة إلى العناصر الجمالية والمعنوية التي تتعلق بتتابع المفردات والجمل في الكلام الواحد فوضعوا لما اكتشفوه مسميات لكل نوع من هذه الأنواع ومنها موضوع الترقي والتدلي "وقالوا من البديع لدى ذكر المتعددات من جنس أو نوع واحد أو صنف واحد إذا كان بينهما تفاضل في الدرجات والمراتب أن نذكر أما من الأدنى إلى الأعلى ترقياً أو من الأعلى إلى الأدنى تدلياً ما لم يدع داع بلاغي آخر يحرص المتكلم أن يشير إليه بمخالفة النظام كمراعاة رؤوس الآي وكالتنويع في نصوص متعددة ووضعوا للالتزام بهذا النظام عنوان الترقي والتدلي "[1]، فالمفردات في العربية على العادة تكون متتابعة ومتناسقة ومتسلسلة على وفق الأهمية والسبق والترتيب وحسن النسق وهذه المفردات المتتابعة لها على هذه الخصوصية فوائد مذكورة ذهب في بيانها أهل البلاغة وهذه المتعددات لها من الانسيابية

والتعانق والتلاؤم ما يزيد في جمالية النص العربي ؛ فالمفردات العربية إما أن تكون موصوفات أو إنها تكون صفات لهذه المفردات ومن هذا نتجت ثنائية التضاد بمصطلح الترقي والتدلي وخاصية هذه الثنائية تدل على جمالية اللغة وكيف استطاع العرب التبيان عن الصفات مترقية من الأدنى إلى الأعلى وهو ماجاء عن العرب في كلامهم فالصفة قد تذكر لتعظم فى نفسها ولينوه بها إذا وصف بها عظيم القدر كما تذكر تنويها بقدر موصوفها وعلى هذا الأسلوب جرى كلام العرب في استعمالهم الصفات والموصوفات إذ عندما ندقق نجد أن الكلام في لغتنا العربية جاء على طريقتين: الأولى الترقّي من الأدنى إلى الأعلى والثانية التدني من الأعلى إلى الأدنى وهذا الذي قادنا إلى تتبع هذه المسألة واستقرائها في الحديث الشريف إذ إن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يرغب في الشيء ذكره بأعلى صفاته والأحاديث كثيرة في هذا الباب أكثر من أن تحصى فهو أبلغ من نطق بالضاد وأبلغ متكلم عرفته العربية على مر العصور والأزمان.ولعل هذه المقدمة تقودنا إلى تساؤل مهم وهو هل عرفت العرب الترقي والتدلي والجواب موجود فالقرطاجني بين الملامح الرئيسة لهذا الموضوع بقوله: "فإن كانت الأوصاف المخيل بها متفاوتة لم يحسن الجمع بينهما كيفما رتبت إلا باستئناف أحدهما في حيز من الكلام منفصل عن حيز الآخر أو بمنزلة المنفصل، لأن النقلة من الأدنى إلى الأعلى المفاوت طفرة، ومن الأعلى إلى الأدنى المفاوت سقوط وانحطاط. فأما إذا تناسبت الأوصاف فالوجه تقديم ما عناية النفس به أكبر وهو عندها أشهر في الشيء وأظهر فيه بالنسبة على غرض الكلام."[٢] وهو في هذا الباب يعطينا الكثير من الأمثلة حول ما تعنيه العرب من هذا الأسلوب الجمالي بقوله:" فهذا هو الوجه في المحاكيات والأوصاف إذا تناسبت، قال حبيب: إنا غدونا واثقين بواثق... بالله شمس ضحى وبدر تمام وكما قال المتنبي: (شمس ضحاها هلال ليلتها ويحبون عكس هذا، لكن هذا هو الوجه الذي كثر في فصيح كلام العرب. فنزل عن الشمس إلى الهلال وعن الدر إلى الزبر جد فمضغت الالسن عرض بلاغته ومزقت أديم صنعته فعلينا أن نتدبر الأحاديث الشريفة حتى يتعلق فهمنا بأهداب علوها فى البلاغة المعهودة لها. وكقول الشاعر

تالله لا كلمتها ولو أنها... كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي

فإنما كان النسق ههنا على سبيل الترقي لأن أو يذهب بها حيث يقصد تعجيب المخاطب من زيادة الشيء تعظيما بعد تعظيم أو تحقيرا بعد تحقير مذهب من تخطى الشيء إلى ما هو أبلغ منه في المعنى. فحسن هذا لما كان هذا المذهب مناسبا لمعنى (أو) وما ينحى بها نحوه[٣].وبين ابن الأثير أن جمال الأسلوب يقوم على تلاؤم النظائر والأشكال ترقياً وتدلياً فالنص تركيب متناسق يتميز بالوحدة والتماسك، بل بالتلاؤم والتلاحم فالعرب إنما تقدم أدنى المعنيين على الآخر في مواضع معلومة من كلامها لمعان أخر ولأغراض يعنيها العربي من خلال الترقي والتدلي: إما لأنه الأحقر من جهة ما متقدم على ما هو أجل منه من جهة أخرى، أو لأن أحدهما في ضمن الآخر ويخيل بعض ما خيل لا يكون بينهما تباين إلا من جهة الأزيد والأنقص والأعم والأخص. فذكر القاصر منهما بعد الآخر فضل، فلا يمكن أن يقوم به إلا بتقديمه عليه، أو لأن الأحقر بالنسبة إلى غرض الكلام أبلغ نحو قولهم: ما أخذت منه قليلا ولا كثيرا لأن إنكار القليل أبلغ من جهة الجحود فكان القليل لذلك أولى بالتقديم، أو لأن الأحقر يكون فيه استدراج لذكر الأجل وتسبب له، ولمعان أخر يطول ذكرها. وكذلك التغليب في مثل القمرين إنما يغلب الأرجح من جهة الفصاحة أو البلاغة لفظا أو معنى. وهذه جملة تحتاج إلى تفصيل، فبين بعض قوانين الفصاحة والبلاغة. فهذا هو القانون الذي يجب أن يعد في ترتيب التخييل والأوصاف. فبين أغراض تأخذ من الترقي والتدلي لهذا الأمر وخاصة في التقديم والتأخير[٤]

ولقد وقف المفسرون كثيراً عند هذا النوع وأوله اهتماماً كبيراً لذا نجد من النادر عند المفسرين والشراح من لم يذكر هذا النوع في تفسيره وهذا الذي حدا بي من السير وتتبع الأثر في الحديث الشريف إظهاراً مني لبلاغة هذا النوع في الحديث الشريف إذ وجدت في هذا النوع بلاغة عظيمة فكان لابد من إبرازه وأهميته وإظهاراً لشرفه بصفته ظاهرة تستحق الدراسة عند شراح الحديث الشريف فالكلام النبوي كلام عظيم كلما زدته فكراً زادك معنى

المبحث الأول: الترقي لغة

الترقي : لغة عند الرجوع إلى مصنفات الأوائل نجد زبدة تعريفات الترقي أنه بمعنى الصعود والانتقال قال ابن فارس: " رقى الراء والقاف والحرف المعتل أصول ثلاثة متباينة أحدهما الصعود والآخر عوذة يتعوذ بها والثالث بقعة من الأرض. فالأول قولك رقيت في السلم أرقى رقيا قال الله جل ثناؤه: "أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك الإسراء٩٣ " والعرب تقول ارق على ظلعك أي اصعد بقدر ما تطيق والثاني رقيت الإنسان من الرقية والثالث الرقوة فويق الدعص من الرمل و يقال رقو بلا هاء وأكثر ما يكون إلى جانب واد رقأ الراء والقاف والهمزة كلمة واحدة يقال رقأ الدم والدمع إذا انقطعا"[٥]، والأصل الأول هو المقصود ومعناه الانتقال من أسفل إلى أعلى الجبل أو السلم والاعتلاء عليه وعنه قال ابن منظور (ت٧١١هـ) " ما زال فلان يترقى به الأمر حتى بلغ غايته وترقى في العلم أي رقي درجة درجة"[٦] مما تقدم نرى أن أهل الاصطلاح قد أخذوا من المعنى اللغوي معنى الترقي والصعود والتنقل من حال إلى حال أعلى وهو ما سيتبين وهذا الأسلوب مشتهر بين البلغاء وأهل التفسير فقلما تجد مفسراً لا ينتبه إلى هذا النوع في تفسير الآيات الحكيمات ويعطي الأمثلة الكثيرة في تفسيره فوددت أن أنتبه في بحثي هذا إلى ما انتبه إليه شرّاح الحديث كونهما متقاربان فوجدت مايسر في هذا الباب فبحثت عنه في كتبهم إلى أن تم ما سأقدمه بين يدي القراء لعله يجد ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم

المعنى الاصطلاحي للترقي:

أوضح الطيبي ٧٤٣هـ هذا المصطلح في كتابه التبيان إذ يعد أول من حدَ هذا الموضوع بقوله: ((هو أن يذكر معنى ثم يردف بأبلغ منه، كقولك فلان نحرير، شجاع باسل، وجواد فياض وقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ الحشر: ٢٤)) أي قدر ما يوجد ثم ميزه، ثم مثله قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ البقرة: ١٢٠) أي لايرضى عنك من هو أقرب مودة، وهم النصارى فكيف من هو أبعد وهم اليهود وقوله تعالى ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ البقرة: ٢٥٥)) كان القياس أن يقال نوم ولاسنة لأنه إذا لم تأخذه

السنة فكيف النوم ؟ لكن المراد لايوجد السنة والنوم أولى على طريقة: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الإسراء: ٢٣)) أي لاتقل عند الضجر أفٍ فضلاً عما يزيد عليه ثم قال ولا تنهرهما تأكيداً للمنفي ضمناً وقال أبو العلاء:

سرى برق المعرة بعد وهن فبات برامة يصف الكلالا

شجا ركباً وأفراساً وإبلاً وزاد فكاد أن يشجو الرحالا

واما قوله تعالى ((الرحمن الرحيم)) فمن باب التتميم للمبالغة فإنه تعالى لما ذكر جلائل النعم وعظائمها أراد المبالغة فتمم بما دق منها أو التكميل لأنه مركوز في الجبلة أن عظائم النعم ليست الا منه فلو اقتصر على الرحمن لاحتشم أن يطلب منه الشيء اليسير فكمّل بالرحيم قال (ياموسى سلني حتى ملح قدرك)[٧] وجاء تعريف هذا النوع عند السبكي ٧٧٣هـ في كتابه عروس الأفراح بقوله: ((هو أن يذكر معنى ثم يردف بأبلغ منه، كقولك عالم نحرير، شجاع باسل ؛ وقد يدخل في بعض أقسام الإطناب "[٨] وقد جعل السبكي الترقي في المحسنات اللفظية ضمن علم البديع، ونقل السيوطي تعريف السبكي هذا ومثاله في كتابه التبيان وذكر قوله تعالى: ((ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى) أي: ولا من هو أقرب مودة فكيف بالأبعد؟. وبينه في منظومته عقود الجمان إذ ذكر فيها هذا النوع من المعاني بقوله:

ثم الترقي وهو ذكر المعنى ففوقه ثم التدلي يعنى [٩]

التدلي لغة:

الانسان يدلي في مهواة ويتدلى هو نفسه، ويقال: تدليت فيها وعليها، ولايكون التدلي الا من علو إلى استفال، يقال: تدلى من الشجرة، وتدلى فلان علينا من أرض كذا وكذا أي:أتانا[١٠].

التدلي اصطلاحاً:

حدّ السيوطي هذا المصطلح فقال عنه: "أن يذكر الأعلى ثم الأدنى لنكتة " [١١]ومثَّل بقوله تعالى: ((لاتأخذه سنة ولانوم)) وبقوله ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا

لِلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ النساء: ١٧٢)) ونكتة البدأة بالمسيح، أن الخطاب مسوق للرد على النصارى، ثم استطرد للرد على العرب المدعين في الملائكة، ثم تخلص إلى حال المعاد وذكر الزركشي الفائدة من هذا النوع من البلاغة في أنه اختص في باب الصفات والموصوفات فبنى على أساس القاعدة من كلام العرب تبيانه في المغزى البلاغي للترقي والتدلي فالعرب في باب الصفات تبدأ بالأدنى ثم تترقى لما هو أعلى منه منزلة ثم للأعلى أما في باب الموصوفات فإنها تبدأ بالأفضل فتقول قام الأمير ونائبه وكاتبه قال تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها، فقدم الخيل لأنها أحمد وأفضل من البغال وقدم البغال على الحمير لذلك أيضا [١٢]وهذه قاعدة أصلّ لها الزركشي في كتابه البرهان إذ ذكر ذلك ومثل لها بالعديد من الأمثلة منها وقوفه عند قوله تعالى ((عالم الغيب والشهادة))قال: " إنما قدم الغيب مع أن علم المغيبات أشرف من المشاهدات والتمدح به أعظم وعلم البيان يقتضي تأخير الأمدح وأجاب بأن المشاهدات له أكثر من الغائب عنا والعلم يشرف بكثرة متعلقاته فكان تأخير الشهادة أولى "[١٣] فالانتقال للأمدح ترق في صفته فالمقصود هنا بيان أن الغيب والشهادة في علمه سواء فنزل الترقي في اللفظ منزلة ترق في المعنى لإفادة استوائهما في علمه تعالى ويوضحه قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به فصرح بالاستواء وهذا الكلام المبني على قاعدة الترقي في الصفات، وأما الموصوفات فعلى العكس من ذلك فإنك تبدأ بالأفضل ثم تتدلى للأدنى منزلة فتقول هذا الأمر لايعجز السلطان ولا الوزير وهو عكس الترقي فبدأ بالأفضل والأعلى ثم انتقل إلى الأدنى. وسأل الزركشي عن هذه القاعدة وأجاب عنها على طريق الفنقلة بقوله: " فإن قلت قاعدة الصفات منقوضة بالقاعدة الأخرى وهي أنهم يقدمون الأهم فالأهم في كلامهم كما نص عليه سيبويه وغيره وقال الشاعر... ابى دهرنا إسعافنا في نفوسنا... وأسعفنا فيمن نحب ونكرم... فقلت له نعماك فيهم أتمها... ودع أمرنا إن المهم المقدم "[١٤] أما التدلي فهو النزول في الموصوفين والموصوفات وهذا النوع عرفته العرب واستفاض في كلامهم وأشعارهم

ومنه في قول الشاعر

إذا جار الأمير وحاجباه وقاضي الأرض داهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل لقاض الأرض من قاضي السماء

فنزل من الأمير إلى الحجّاب تدلياً في الموصوفين من الأعلى في المنزلة إلى من هو دونه، فالكلام البليغ إما أن تتساوى أطرافه وتتعادل، واما أن يتطور من الأدنى إلى الأعلى، أو من الأقل إلى الأكثر، أو من الأضعف إلى الأقوى، وهذا ما أكده أبو هلال العسكري في مصنفه(كتاب الصناعتين) عن حسن الرصف وعلاقة الكلمة بما يجاورها "ومن تمام حسنِ الرصف أن يخرج الكلام الكلام مخرجاً يكون له فيه طلاوةٌ وماءٌ في النظم أن ينتقل المتكلم من الأدنى إلى الأعلى[١٥] وذهب ابن الأثير في أن طريقة النظم المتداولة على نحو تدريجي تطوري وبخاصة في موقف المدح، أما إذا كان الموقف ذماً فإن القضية تعكس فينتقل المتكلم من الأعلى إلى الأدنى"[١٦] وقد عالج ابن الأثير هذا الفن البلاغي على نحو شمولي أبرز فيه فلسفة الجمال البلاغية في الصفات الواردة على نسق واحد فهو يبين الأصول العامة لتشكيل البنية اللغوية للألفاظ فأولها اختيار الألفاظ،وثانيها نظم الكلام،وثالثها المقام أو الغرض وبين ما يتصل بالترقي والتدلي التي هي أحدى الفنون التي عالجها ووضع أسسها بقوله: "وكذلك يتصل بهذا النوع الصفتان الواردتان على شيء واحد فإنه إذا لزم من وجود إحداهما وجود الأخرى اكتفى بها في الذكرِ ولم يحتج إلى ذكر الأخرى لأنه يجيء ضمناً وتبعاً، أو أن يبدأ بها في الذكر أولاً ثم تجيء الأخرى بعدهاِ وأما الصفات المتعددة فإنه ينبغي أن يبدأ في الذكر بالأدنى مرتبة ثم بعدها بما هو أعلى منها إلى أن ينتهي إلى آخرهاِ هذا في مقام المدحِ فإن كان في مقام الذم عكست القضية فالأول – وهو الخاص والعام – نحو قوله تعالى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ البقرة: ١٧) ولم يقل ذهب بضوئهم موازناً لقوله (فلما أضاءت) لأن ذكر النور في حالة النفي أبلغِ من حيث إن الضوء فيه الدلالة على النور وزيادةِ فلو قال ذهب الله بضوئهم لكان المعنى يعطي ذهاب تلك الزيادة"[١٧]

وبين ابن الأثير هذه المسألة في ورود هذا المصطلح في كلام العرب وشعرهم عندما ذكر أبيات للأشتر النخعي في توارد الصفات بقوله:

وأما الصفتان الواردتان على شيء واحد فكقول الأشتر النخعي

(حَمِيَ الْحَدِيدُ عَلَيْهِمُو فَكَأَنَّهُ... لَمَعَانُ بَرْقٍ أَوْ شُعَاعُ شُمُوسِ)

ألا ترى أنه رقى في التشبيه من الأدنى إلى الأعلى فقال: (لمعان برق أو شعاع شموس) ؟ لأن لمعان البرق دون لمعان الشموس وجود الأخرى أن يكتفي بذكرها دون الأخرىِ لأن الأخرى تجيء ضمناً وتبعاً، وأن يبدأ بها في الذكر ثم تجيء الأخرى بعدهاِ وعلى هذا فيقال أولاً فلا تنهرهما ولا تقل لهما أفٍ لكن إذا لم يقل لهما أف امتنع أن ينهرهماِ وقد كان هذا هو المذهب عندي حتى وجدت كتاب الله تعالى قد ورد بخلافهِ وحينئذ عدت عما كنت أراه وأقول به [١٨]

وبين أيضا الترقي في الصفات المتعددة أيضاً

" وأما الصفات المتعددة الواردة على شيء واحد فكقول أبي عبادة البحتري في وصف نحول الركاب

(يَتَرَقْرَقْنَ كَالسَّرَابِ قَدْ خُضْنَ غِمَارَاً مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي...)

(كَالْقِسيِّ المُعَطَّفَاتِ بَلِ الأَسْهُم... مَبْرِيَّةً بَلِ الأَوْتَارِ)

ألا ترى أنه رقى في تشبيه نحولها من الأدنى إلى الأعلى فشبهها أولاً بالقسيِ ثم بالأسهم المبريةِ وتلك أبلغ في النحولِ ثم بالأوتارِ وهي أبلغ في النحول من الأسهمِ وكذلك ينبغي أن يكون الاستعمال في مثل هذا الباب " [١٩]، وهو على هذا المبدأ قد عاب إغفال الكثير من الشعراء هذا التسلسل والتدرج ومن جملتهم أبو الطيب المتنبي في قوله:

(يَا بَدْرُ يَا بَحْرُ يَا غَمَامَةُ يَا... لَيْتَ الشَّرَى يَا حِمَامُ يَا رَجُلُ)

بقوله "وينبغي أن يبدأ فيه بالأدنيِ فالأدنى فإنه إذا فعل ذلك كان كالمرتفع من محل إلى محل أعلى منهِ وإذا خالفه كان كالمنخفض من محل إلى محل أدنى منهِ فأما قوله (يا بدر) فإنه اسم الممدوحِ والابتداء به أولىِ ثم بعده فيجب أن يقول يا رجلِ يا ليثِ يا غمامةِ يا بحرِ يا حمام لأن الليث أعظم من الرجلِ والبحر أعظم من الغمامةِ والحمام أعظم من البحرِ وهذا مقام مدح فيجب أن يرقى فيه من منزلة إلى منزلة حتى ينتهي إلى المنزلة العليا آخراً ولو كان مقام ذم لعكس القضية"[٢٠] فقاس على هذا قانون البلاغة المعروف وهو مطابقة الكلام لمقتضى الحال

وعاب أيضاً على قول أبي تمام قوله في الفخر:

(سَماَ بِيَ أَوْسٌ فِي الْفَخَارِ وَحَاتِمٌ... وَزَيْدُ الْقَنَا والأَثْرَمَانِ وَرَافَعُ) وعلى هذا الموضوع وبين ابن أبي الأصبع في أن البلاغة تكون في حسن ترتيب أجزاء الكلام بالانتقال أو الارتقاء من الأدنى إلى الأعلى الا أنه اختلف عن ابن الأثير إذ إنه لم يقيد الترقي بالمدح والتدلي بالذم بل ذهب إلى أن المخالفة لا تكون في الكلام البليغ الا لقيمة جمالية تكشف عن نفسها من السياق التي ذكرت به[٢١].

المبحث الأول : أغراض الترقي وأنواعه البلاغية في الحديث الشريف

تعددت الأغراض والأنواع في هذا المصطلح البلاغي وهذا يتضح عند متابعتنا للكثير من الأحاديث الشريفة إذ يتبين من خلالها ظهور ووضوح هذا اللون البلاغي في العديد من الأحاديث الشريفة وعند الوقوف على ما قاله شراح الحديث وأهل البلاغة في هذا اللون البلاغي الذي هو من جمالية اللغة العربية وفن بلاغي من فنونها الماتعة ومن هذه الأغراض:

١- الترقي في المنازل والمقام

صفات الخير الكثيرة دل عليها ﷺ في أقواله وأفعاله فهي كثيرة تصعد بالشخص إلى مقامات العلى وهذا يتبين عند دراستنا لهذا الأسلوب البلاغي في ترقي الصفات وفي قانون البلاغة في أن الترقي من الأدنى إلى الأعلى ومنه قوله ﷺ في " أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلون الجنة بسلام"[٢٢]، من المعلوم أن خطاب الشرع إذا صدر بالنداء، دل ذلك على أهمية هذا الخطاب، لأن النداء يوجب تنبه المخاطب، فإنه فرق بين أن تقول الكلام مرسلا وبين أن تنادي من تخاطب، فالثاني يكون أبلغ في التنبيه والانتباه.ومن هذا جاء الحديث الشريف فقد جاء الترقي هنا من الأسهل وهو إفشاء السلام و هو الأقل ثم ترقى إلى ما هو أشد منه وهو إطعام الطعام ثم ترقى إلى الأعلى وهي الصلاة بالليل والناس نيام،وهذا محل الشاهد من هذا الحديث، أن الرسولﷺ جعل الصلاة بالليل من أسباب دخول الجنة، والثواب قال: تدخلوا الجنة بسلام أي تسلم عليك الملائكة كما في قوله تعالى { والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم } يهنئونهم بما

صبروا وبهذا الثواب العظيم و (تدخلوا الجنة بسلام) ظاهره أنه بلا عقاب ولا عذاب لأن من عذب لم يسلم.فهذه الأمور الثلاثة في هذا الحديث من أسباب دخول الجنة بسلام.وقد راعى الترقي وتلاحم مع حال المخاطب إذ بدأ بالأسهل ثم انتقل إلى الأعلى فأبرز مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

٢- الترقي في الصفات الآلهية

وتبرز جمالية الترقي من الأدنى إلى الأعلى في الصفات الإلهية فترقى بها في الحديث على نسق بديع فأضاف إلى التلاؤم حسن البيان وصحة البرهان في تفصيله للصفات المرتبة على حسب مقتضاها في التركيب ومن ذلك في قوله: ﷺ " أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " [٢٣] قال السيوطي: "فاستعاذ من المكروه منهما إلى المحبوب ومن الشر إلى الخير قال القرطبي ثم ترقى عن الأفعال إلى منشىء الأفعال فقال وأعوذ بك منك مشاهدة للحق وغيبة عن الخلق وهذا محض المعرفة الذي لا يعبر عنه قول ولا يضبطه صفة.ومنها أن الغضب والرضاء والعفو والعقوبة لما كانا متقابلان استعاذ بأحدهما من الآخر فلما جاء إلى الذات المقدسة التي لا ضد لها ولا مقابل قال وأعوذ بك منك فاستعاذ بصفة الرضى من صفة الغضب وبفعل العفو من فعل العقوبة وبالموصوف بهذه الصفات والأفعال منه وهذا يتضمن كمال الإثبات للقدر والتوحيد بأوجز لفظ وأخصره فالسخط سبب الألم والعقوبة هي الألم فاستعاذ من أعظم الآلام وأقوى أسبابها" فتأمل ذكر استعاذته فاستعاذ بصفات الرحمة لسبقها وظهورها من صفات الغضب وأعوذ بك منك أي لا يملك أحد معك شيئا فلا يعيذه منك إلا أنت "قال الطيبي: وفي رواية أخرى بدأ بالمعافاة ثم بالرضا فيكون الابتداء بصفات الأفعال ثم بصفات الذات ثم بالذات مترقيا "[٢٤]

الترقي ومراعاة التشبيه

ويأتي الترقي في باب التشبيه لإبراز القيمة الجمالية لهذا الأسلوب البليغ ليبرز قوة التأثير في المتلقي، لأن التشبيه يبقى محتفظاً على الدوام بمعان لايدركها الا المتأمل لما في التشبيه من إيجاز وتجاوز للغة الدلالية إلى اللغة الايحائية إذ تتواشج الفنون البلاغية لتدل على

قيمة المعنى وهذا ما بينه المناوي في نظرته للترقي في الحديث الشريف ومنه ما جاء في قولهﷺ "إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى لملائكته أو لمن شاء من خلقه ابنوا لعبدي بيتا في الجنة يسكنه في الآخرة وسموه بيت الحمد "[٢٥]قال المناوي: " قال الطيبي: رجع السؤال إلى تنبيه الملائكة على ما أراد اله من التفضل على عبده الحامد لأجل تصبره على المصائب وعدم تشكيه بل إعداده إياها من النعم الموجبة للشكر ثم استرجاعه وأن نفسه ملك لله وإليه المصير وقال أولا: ولد عبدي: أي فرع شجرته ثم ترقى إلى ثمرة فؤاده أي نقاوة خلاصته فإن خلاصة المرء الفؤاد إنما يعتد به لمكان اللطيفة التي خلق لها فحقيق لمن فقد تلك النعمة فتلقاها بالحمد أن يكون هو محمودا حتى المكان الذي يسكنه"[٢٦] وقد سُلكت في ترتيب هذه الأدلة طريقة الترقي؛ فابتدىء بالسؤال عن قبض ولد عبده مضاف إليها ياء النسب وهي للتشريف في هذا المقام، ثم ارتقي إلى ما هو أعم وأشمل فقال قبضتم ثمرة فؤاده فشبه ولده كالثمرة تنتجها الشجرة وتنتظر نضجها، وقد جاءت أنواع السؤال لمدلول الصبر في الحديث على وجه الترقي من الشديد إلى الأشد فسأل عن ثمرة فؤاده التي ينتظر نضجها على مر الأيام والسنين فلا بد من الصبر ، وذلك لأن الصبر على المصائب بها ينال الأجر وبها ينال بيت الحمد وهو منية المتمني فسلك طريق الترقي إلى القلوب التي هي مقر المدركات وخص الفؤاد الذي هو غشاوة القلب وهو ألطف ما فيه.

٣- الترقي في صفات المؤمنين :

ويكون الترقي في مقام الصفات على حسب الأهم فالأهم والصعب والأصعب ومن ذلك ما جاء في الحديث الشريف قوله : (ﷺ "ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف "[٢٧]قال الطيبي: "قَالَ الطِّيبِيُّ: إِنَّمَا آثَرَ هَذِهِ الصِّيغَةَ إِيذَانًا بِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ مِنْ الْأُمُورِ الشَّاقَّةِ الَّتِي تَفْدَحُ الْإِنْسَانَ وَتَقْصِمُ ظَهْرَهُ، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعِينُهُ عَلَيْهَا لَا يَقُومُ بِهَا، وأصعبها العفاف لأنه قمع الشهوة الجبلية المذكورة في النفس وهي مقتضى البهيمية النازلة في أسفل سافلين فإذا استعف وتداركه عون إلهي ترقى إلى منزلة الملائكة في أعلى عليين "[٢٨] فالترقي هنا جاء على حسب الترقي فبدأ بالأسهل وهو

المجاهد وعادة المجاهد أن له من يعينه ثم ترقى إلى المكاتب (المدين) الذي يريد أداء ما بذمته أي العبد الذي كاتبه سيده على نجوم إذا أداها عتق وهو أصعب من الأول ثم انتقل إلى الأصعب وهو الأشق لأنه مجاهد للشهوات التي تصيبه وهو بذلك قد حقق أعلى أبواب الجهاد على النفس في قمع شهواتها وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عن يوسف الصديق من العفاف أعظم ما يكون فإن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره، فالنكاح أفضل النوافل فإذا ولد للناكح ولد صالح كان لك في ولده وعقبه أجر وأقر به عين محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وهو أعظم من عون المكاتب والمجاهد لما أن النكاح أفضل النوافل وأقربه نسبة للفضل الإلهي في إيجاده العالم وبعظم الأجر يعظم النسب فالمدح إنما يكون بالصفات الخاصة التي يتميز بها الممدوح عمن دونه فهذا هو قانون البلاغة في ترقي الصفات وترتيبها من الأعلى إلى من هو أعلى منه

٤- الترقي في المنزلة (التأخير)

الترقي في المنزلة يبدأ من الأقل إلى الأكثر على حسب الدرجة والأهمية والمنزلة العليا وهذا ما يراعى في السياق ومقام الكلام إذ يقتضي تأخير الأعلى منزلة لبيان علو ومكانته المهمة على حسب الدرجة فالأعلى هو الأكثر أهمية بين هذا الأصناف أو من باب من هو في حكمه إذ منزلة من هو في حكمه تختلف عن منزلته في الحقيقة والأصل فيقدم ماهو دونه ليتبين بذلك فضله وميزته وهذا يتبين بقوله: -ﷺ- عن الشهداء وأصنافهم "الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ الْمَطْعُونُ وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرَقُ، وَصَاحِبُ الْهَدَمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[٢٩].قال الحافظ الذي يظهر أنه ﷺأعلم بالأقل ثم أعلم زيادة على ذلك فذكرها في وقت آخر ولم يقصد الحصر في شيء من ذلك " قال ابن الملك وإنما أخره لأنه من باب الترقي من الشهيد الحكمى إلى الحقيقي واعلم أن الشهداء الحكمية كثيرة وردت في أحاديث شهيرة جمعها السيوطي في كراسة سماها أبواب السعادة في أسباب الشهادة "[٣٠] ذكرنا سابقاً قول ابن الأثير أن مقام الكلام إذا كان مدحاً جاء ترتيب النظم ترقياً وهذا ما تبين من قوله ﷺ فجاء التنقل بين هولاء الأقسام ترقياً في النوع فالانتقال للأمدح ترق في صفته، فالمقصود هنا بيان أن الشهيد الحقيقي والذي هو أعلى درجة من تلك الأقسام من كانت شهادته في سبيل الله فنزل الترقي في اللفظ

منزلة ترق في المعنى فجاء ترتيب هذه الأصناف ترقياً في أن الأعلى مقاماً والأسمى منزلة فبدأ ترتيبه بالمطعون أي الذي ابتلي بالطاعون ومات به ثم إلى (المبطون) أي الذي يموت بمرض البطن كالاستسقاء ثم ترقى إلى (الغريق) أي الذي يموت من الغرق (وصاحب الهدم) الذي يموت تحت الهدم ثم ترقى إلى أعلى مقامات الشهادة وهي الشهادة في سبيل الله وعرفه صلى الله عليه وسلم بأنه الذي يقاتل من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا فجاءت هذه المفردات متتابعة من الأدنى إلى الأعلى وجاءت هذه المفردات معطوفة بعضها على بعض ومتلاحمة تلاحماً سليماً مستحسنا.

٥- الترقي من الأهون إلى الاغلظ

ومن هذا النوع قوله ﷺ: "من أتى كاهنا فصدقه بما يقول أو أتى امرأة حائضا أو أتى امرأة في دبرها"[٣١] قال الطيبي:" أتى: لفظ مشترك بين المجامعة وإتيان الكاهن (فقد برئ مما أنزل على محمد) ﷺ، قال الطيبي:" تغليظ شديد ووعيد هائل كيف لم يكتف بكفره بل ضم إليه بما أنزل على محمد ﷺوصرح بالعلم تجديدا والمراد بالمنزل الكتاب والسنة أي من ارتكب هذه المذكورات فقد برئ من دين محمدﷺ بما أنزل عليه وفي تخصيص المرأة المنكوحة في دبرها دلالة على أن إتيان الأجنبية سيما الذكران أشد نكيرا وفي تقديم الكاهن عليهما ترق من الأهون إلى الأغلظ اه"[٣٢]. وسياق الحديث الشريف يوحي بدلالة الترقي بين هذه الصفات إذ بدأ بإتيان الكاهن لسؤاله عن أمور غيبية لانهم يتكلمون في مغيبات قد يصادف بعضها الاصابة فيخاف الفتنة على الانسان بسبب ذلك لأنهم يلبسون على الناس كثيرا من أمر الشرائع تم ترقى الى الاعلى منزلة وأغلظ منها وهو اتيان المرأة الحائض وأغلظها منزلة إتيان المرأة في دبرها ودلالة الترقي هنا ارادة الزجر والتنفير عن عمل هذه المنكرات والكبائر

ومن أمثلة هذا النوع من الترقي قوله ﷺ:" اللهم إني أعوذ بك من الكسل، والهرم، وسوء الكبر، وفتنة الدنيا، وعذاب القبر" [٣٣] قال صاحب المشكاة: "في الفقرات كلها ترق من الأدنى إلى الأعلى استعاذ أولاً من الكسل أي من التثاقل في الطاعة مع الاستطاعة، ثم من الهرم الذي فيه سقوط بعض الاستطاعة فيفوت به بعض وظائف العبادات، ثم من سوء الكبر الذي يصير فيه كالحلس الملقى على الأرض لا يصدر منه شيء من الخيرات (وفتنة الدنيا)

أي الافتتان بها ومحبتها أو الابتلاء بفتنة فيها (وعذاب القبر) أي من نفس عذابه أو مما يوجبه فالترقي بدأ هنا بالأخف ثم انتقل منه الى الأعلى وهو الهرم وهكذا إلى أن وصل الى اعلاها مضرة وهو عذاب القبر فهو ترقي من الأخف الى الأشد ترقياً في التعوذ من هذه الصفات بعون من الله سبحانه وتعالى "[٣٤].

٦- الترقي للظاهر والباطن

ويعطي الترقي ميزة جمالية في الحديث الشريف إذ يكون في باب تقديم الظاهر على الباطن ومنه ما جاء عن أبي هريرة قال كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث قال الإسلام قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال ما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (٣٥) وهذا الحديث جاء من طريق آخر وقع في رواية عمارة بن القعقاع بدأ بالإسلام وثنى بالإيمان وقالوا إنما بدأ بالإسلام لأنه بالأمر الظاهر ثم بالإيمان لأنه بالأمر الباطن ورجح الطيبي هذا وقال لما فيه من الترقي "(٣٦)، فالترقي هنا جاء على هذه الرواية أنه بدأ بالإسلام فمن الملاحظ على هذه الرواية عن هذه المتعددات الانسيابية والتلاؤم والتعانق المتدرج فيما بينها فبدأ بالإسلام الذي يقدمه هو الظاهر أولاً، وهل هو أثر إيمان أم لا ؟ فجاء بالتدقيق عنه بالإيمان ثانياً ، وثلث بالإحسان الذي هو أعلى المراتب في العبادة ترقياً لأن العبد في مقام المشاهدة لأن جبريل عليه السلام لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فقال: « أن تعبد الله كأنك تراه » وهذا غاية درجة العبد في الاشتغال بالعبودية، وهو أن يكون العبد في مقام الشهود، لا في مقام الغيبة، فهو ترقي من مقام الاستدلال، إلى مقام الشهود .وإنما أخر ذكر الإحسان لأنَّه من باب الترقي من الأدْنَى إلى الأعلى. فانظر كيف جاء هذا النظم الكريم مرتباً على طريق البلاغة إذ انتقل من الأدنى إلى الأعلى على الترتيب

٧- الترقي في الحجم

وموطن الترقي يكون واضحاً عند تأملنا لحديثه صلى الله عليه وسلم بقوله "مَنْ غُمِّلَ فَكَتَمَنَا مِنْهُ مِخْيَطًا فَمَا فَوْقه فَهُوَ غُلّ "[٣٧] قال الطيبي "الفاء للتعقيب الذي يفيد الترقي أي

فما فوق المخيط في الحقارة نحو قوله تعالى إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها (فهو) أي المخيط وما فوقه (غل) بضم الغين أي طوق من حديد أيْ فِي الْقِلَّة أَوْ الْكَثْـرَة أَوْ الصِّغَر أَوْ الْكِبَر فضرب المثل وإيراده ليمتثل به، ويتصوّر ما أراد المتكلم بيانه للمخاطب ، واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء، ومضروباً بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب. من قبل أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى، ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، وإدناء المتوهِّم من المشاهد. فإن كان المتمثّل له عظيماً كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك، فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذاً، إلاَّ أمراً تستدعيه حال المتمثَّل له وتستجّره إلى نفسها، فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية، فما فوقه أي فما فوقه في الحقارة، فيكون المعنى أدنى من المخيط ؛ أو فما فوقه في القدر والارتفاع"[٣٨]، فيكون المراد ما هو أعلى من المخيط ترقياً في الحجم وهكذا تتجلى دلالة الترقي مع التمثيل النبوي في ذكر الأقل صعوداً إلى ما هو أعلى منه فترقى من المخيط إلى ما هو أعلى منه حجماً وسمكاً ضرباً في المثل للترقي منه إلى غيره ويؤنس إلى هذا الفهم لحرف الفاء الذي أفاد التعقيب.

ومما يزيد في دلالة الحروف في الترقي البلاغي قوله (بعثت من خير قرون بني آدم) أي من خير طبقاتهم كائنين (قرنا فقرنا) طبقة بعد طبقة (حتى كنت من الذي كنت فيه) إذ القرن أهل كل زمان من الاقتران لأنهم يقترنون في أعمارهم وأحوالهم في زمن واحد وحتى غائبة لبعثت وأراد به تقلبه في الأصلاب أبا فأبا حتى ظهر في القرن الذي وجد فيه فالفاء للترتيب في الفضل على الترقي تقربا من أبعد آبائه إلى أقربهم فأقربهم كما في: خذ الأفضل فالأكمل واعمل الأحسن فالأجمل"[٣٩] فالترقي هنا جاء من خلال التلاحم بين الجمل والمفردات فالوصل بين الجمل هو لتبيان قيمة التناسق الدلالي وتلاحمه فالفاء للترتيب في الأقسام ذكورا ورتبة باعتبار تفاوت مراتبها في الدلالة على الخيرية والفضل وهذا التفاوت إما على الترقي أو التنزل من أعلى من وجه وأدنى من آخر إذا نظر لها ذو نظر صحيح وقيل: الترتيب بالنظر إلى الأقرب فالأقرب منها فالوضوح في البلاغة يعني حسن التنسيق وتحدر الكلام على وفق أسس يحددها السياق وهذا ما اكتنفته بلاغة الحديث.

ومنه ما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال:" الْمُؤْمِنُونَ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثَلاثَةِ أَجْزَاءٍ: الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ، وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ الَّذِي يَأْمَنُهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ الَّذِي أَشْرَفَ عَلَى طَمَعٍ تَرَكَهُ"[٤٠] وتكون حروف العطف الأخرى دلالات مهمة في هذا الموضوع البلاغي المهم والخاصية في كلام العرب ولعل العطف بثم إيذاناً بنفي الارتياب بعد الإيمان ولو بمهلة فإن العبرة بالخاتمة ولا يضر تقدم الارتياب أو معنى لم يرتابوا أنهم عملوا بمقتضى الإيمان ولم يتركوا شيئاً من الأوامر والنواهي لأن المقسم هم المؤمنون الكاملون وقال الطيبي ثم في ثم لم يرتابوا كما في قوله تعالى ١٦ الحجرات) إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فصلت ٣٠) للتراخي في الرتبة لأن الثبات على الاستقامة وعلى عدم الارتياب أشرف وأبلغ من مجرد الإيمان والعمل الصالح والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، ولعل اختيار الأفراد إشارة إلى أنه قليل الوجود بين العباد وكذا قوله ثم الذي إذا أشرف على طمع تركه لله عزَّ وجلّ "والظاهر أن ثم ههنا للترقي وأن هذا الجزء أفضل مما قبله وكذا ما قبله أفضل مما قبله وباعتبار أن كلاً من المتأخر مشتمل على وصف المتقدم مع زيادة صفة جليلة وقال الطيبي ثم للتراخي في الرتبة أيضاً والطمع ههنا يراد به انبعاث هوى النفس إلى ما تشتهيه فتؤثره على متابعة الحق فترك مثله منتهى غاية المجاهدة وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى "[٤١] والظاهر أن المراد بالطمع هنا الميل إلى مال أو جاه ولو كان على سبيل الإباحة فإن تركه هو الكمال عند أرباب الوصال فقد تكون ثم) لمجرد التدرج في الارتقاء وإن لم يكن الثاني مترتباً في الذكر على الأول فليس المقصود بثم) بالتراخي المهلة الزمانية فقط، بل عموم البعد والتباين سواء كان ذلك في الزمان أم في الصفات أم في غيرهما، وذلك أن اللفظة تفيد البعد عموماً في الزمان أو في الصفات والأحوال، ويدل على ذلك استعمالها الكثير في فصيح الكلام فالذي يبدو أن الجمل في حال الوصل والفصل تكون متلاحمة فالعطف هنا كما بينه الطيبي أفاد التأسيس إذ أخذت الصفات المذكورة بالترقي صنفاً أعلى من صنف وهذا المعنى الذي أسهم في جمالية المعنى نابع من ترقي هذه الصفات المتدرجة من الأيمان الذي هو الأساس ثم الذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم وهو من ثمرات التأسيس الأول، ثم

الذي إذا أشرف على طمع تركه لله عزَّ وجلّ من مال أو جاه ولو كان على سبيل الإباحة فإن تركه هو اصعب وأعلى هذه الأصناف منزلة وهو ما أفاده الترقي بحروف العطف.

٨- الترقي في الدعاء

وظهر اهتمام ابن حجر كثيراً في ابداء مصطلح الترقي في شرحه لصحيح البخاري وذلك عند قوله صلى الله عليه وسلم: " تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة. إن أُعطي رضيَ وإن لم يعط سَخِط تعس وانتكس. وإذا شيك فلا انتقش" [٤٢]"في قوله تعس وانتكس فيه الترقي في الدعاء عليه لأنه إذا تعس انكب على وجهه فإذا انتكس انقلب على رأسه وقيل التعس الخر على الوجه والنكس الخر على الرأس "[٤٣]، فوقعت صحة التقسيم في هذا الحديث على الترتيب الذي يقتضيه قانون البلاغة وهو الانتقال في النظم من الأدنى إلى الأعلى إذ قدم في هذا الدعاء التعاسة لأنها تفضي إلى الانكباب على الوجه أما الترقي في الدعاء فقد جاء في الانتكاس لأنه ينقلب على رأسه انقلاباً لايفيده شيء اخر لأنه منكوس الرأس وتكمن دلالة الترقي في الدعاء بالخيبة والخسران[٤٤]

ومن أمثلة وشواهد الترقي في الدعاء ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم "اللّهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال و الأهواء والأدواء "[٤٥] قال الطيبي:" والإضافة إلى القرينتين الأوليين من إضافة الصفة إلى الموصوف. قال الراغب: والإنكار ضد العرفان والمنكر كل فعل يتوقف في استقباحه واستحسانه العقول ويحكم بقبحه الشرع. وقال زين العرب منكر الخلق ما لم يعرف حسنه من جهة الشرع قال الحكيم: إنما استعاذ من هذه الأربع لأن ابن آدم لا ينفك منها في متقلبه ليلا ونهارا وبها ما يعظم الخطب فيه حتى يصير منكرا غير متعارف فيما بينهم فذاك الذي يشار إليه في بالأصابع في ذلك الأمر ومنه يعظم الوبال. قال الرشيدي: وعطف العمل على الخلق والهوى على العمل والداء عليها وإن كل الكل على الأول: من باب الترقي في الدعاء إلى ما يعم نفعه "[٤٦]

٩- الترقي للترتيب في الأفضلية

ومن مميزات الترقي مراعاة الترتيب على حسب الأهم أو الفاضل والمفضول فهو أسلوب متبع في كلام العرب ومنه ماجاء في قوله (ألا أدلك على غراس هو خير من هذا) تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل كلمة منها شجرة في الجنة) قد أفاد بهذا الحديث فضل هذه الكلمات وذكر الحمد بعد التسبيح من قبيل الترقي فقد اتفقت الأخبار على أنه يملأ الميزان فهو أفضل من التسبيح وذلك لأن في التحميد إثبات سائر صفات الكمال والتسبيح تنزيه عن سمات النقص والإثبات أكمل من السلب وهذه الكلمات هي الباقيات الصالحات عند جمع جم من الفقهاء " فالعرب انما تقدم أدنى المعنيين على الآخر في مواضع معلومة من كلامها لمعان أخر فمنها لأن أحدهما في ضمن الآخر ويخيل بعض ما خيل لا يكون بينهما تباين إلا من جهة الأزيد والأنقص والأعم والأخص. فذكر القاصر منهما بعد الآخر فضل، فلا يمكن أن يكون به إلا بتقديمه عليه وهذا ما تبين من خلال الحديث الأنف الذكر.." قال ابن حجر: والحمد أفضل من التسبيح انتهى فذكره قبله من باب الترقي "[٤٧] فجاء الترقي هنا على مرتبة الفاضل إلى الأفضل لأن الذى يقتضيه السياق وقواعد المعانى وكلام العرب في أن الترقى من الفاضل إلى الأفضل هو المعلوم في كلامهم وبهذا يتبين أن الكلام المنتظم المتلائم له أشكال عدة تحتاج إلى تأمل وتأنٍ من أجل إدراكه.فهذه الكلمات هي الباقيات الصالحات لكونها جامعة للمعارف الإلهية فالتسبيح تقديس لذاته عما لا يليق بجلاله وتنزيه لصفاته عن النقائص والتحميد منبه على معنى الفضل والأفضال من الصفات الذاتية والإضافية والتهليل توحيد للذات ونفي للمثل والضد والند وتنبيه على التبري عن الحول والقوة إلا به وختامها بالتكبير اعتراف بالقصور في الأقوال والأفعال وفي هذا التدرج لمحة من معنى العروج للسالك العارف وتسميتها بالباقيات الصالحات لما أنه سبحانه وتعالى قابلها بالفانيات الزائلات.

١٠- الترقي للتخصيص بعد التعميم

طريق الترقي من الأدنى إلى الأعلى إنما يكون فيما إذا كان الأعلى مشتملاً على معنى الأدنى لأن تقديم الأعلى إذ ذاك يغني عن ذكر الأدنى بعده وهذا في معاني الألفاظ الناقصة معتد بها في حالة التركيب ... والأبلغ إذا كان أخص مما دونه ومشتملاً على مفهومه تعين

هناك طريقة الترقي إذ لو قدم الأبلغ كان ذكر الآخر عارياً عن الفائدة وإذ لم يكن الأبلغ مشتملاً على مفهوم الأدنى فإنه يجوز كل واحد من طريقي التتميم والترقي نظراً إلى مقتضى الحال ومن أمثلة هذا النوع قوله: "أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وان اقترف على نفسي سوءً أو أجره على مسلم "[٤٨] قال المناوي "قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك) قال ابن القيم: قد تضمن هذا الحديث الاستعاذة من الشر وأسبابه وغايته فإن الشر كله إما أن يصدر من النفس أو من الشيطان. وغايته إما أن يعود على العامل أو على أخيه المسلم فتضمن الحديث مصدري الشر الذي يصدر عنهما وغايتيه اللتين يصل إليهما اه. فإن قلت لم قدم الاستعاذة من شر النفس مع أن شر الشيطان أهم في الدفع لأن كيده ومحاربته أشد من النفس لأن شرها وفساده إنما ينشأ من وسوسته ومن ثم أفردت له في التنزيل سورة تامة بخلافها قلت الظاهر إنه جعله من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى "(٤٩)، فبدأ الترقي على الأخف من شر النفس فعلى الإنسان أن يتعوذ بالله من شر نفسه الأمارة بالسوء لأنها منبع الأشرار كما أن القلب معدن الأسرار، ومن ثم ترقى إلى شر الشيطان أي وسوسته وإغوائه وإضلاله ولأن الشيطان الذي هو عدو الإنسان؛ آلى على نفسه والتزم بأن يغوي الناس وأن يجتهد في إغوائهم وإخراجهم من النور إلى الظلمات والإضافة على الأول إضافة المصدر إلى الفاعل وعلى الثاني معنوية والعطف على التقديرين للتخصيص بعد التعميم للاهتمام به فقدم الاستعاذة منها لكونها أسرع إجابة إلى داعي الشر من الهوى والشيطان. وحاصله مزيد الاعتناء بتطهير النفس فقدم إشارة لكمال الصديق أن يفعله ليكون وسيلة إلى كل كمال يترقى إليه بعد، إذ الترقي يتفاوت بحسب تفاوت المراتب في ذلك فأضاء المناوي مفهوماً دقيقاً لأجمل أنواع مطابقة الكلام لمقتضى الحال، إذ يصبح الكلام نقطة التقاء فاعلة بين المتكلم والمتلقي، كما أن فيه بياناً بأن البلاغة تتدرج من الأقل إلى الأكثر، أو أنها تتدرج من الأدنى وتتطور إلى الأعلى.

ومن شواهد التخصيص بعد التعميم ما جاء عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله وهو يحتمل أنه كان وحده أو خصه بالخطاب وعم الحكم بقوله تعلموا العلم أو الجمع للتعظيم والمراد بالعلم علم الشريعة بأنواعها وعلموه الناس لتكونوا كاملين مكملين تعلموا الفرائض أي علمها خصوصاً سواء أريد بها فرائض الإسلام أو فرائض الإرث وعلموه الناس

أي هذا العلم فالضمير إلى المضاف المقدر وفي نسخة صحيحة وعلموها الناس فإن علمها أهم وثوابها أتم تعلموا القرآن وعلموه الناس وهو تخصيص من وجه وتعميم من وجه وعلى كل فتأخيره للترقي فإن الإهتمام بحفظه ولو بلفظه أوجب فإنه معجزة مستمرة بعده عليه الصلاة والسلام فإني أمرؤ مقبوض " [٥٠] ووجه الترقي هنا في هذا الحديث أنه قدم العلم لأنه الأصل في ذلك ثم ترقى إلى الفرائض وهي أعلى منزلة وإن جاءت تابعة للعلم ثم انتقل إلى تعلم القرآن وتعليمه لأنه أعلى منزل هذه الأمور فهذا هو أسلوب العرب بالتقديم إذ إنهم يبدأون في المدح بالصفة الدنيا ثم يترقون إلى الأعلى فالأعلى. فلو لم نذهب إلى الفائدة المذكورة فى ذكر تعلم القرآن بعد تعلم الفرائض لخرجنا عن قانون البلاغة المألوف فى الكتاب العزيز وفى كلام العرب الفصيح وهو الترقى من الأدنى إلى الأعلى لا النزول على العكس.فأسس بالعلم ثم أتبع الفرائض ثم بالقرآن كلامه تعالى لأنه الأرقى والأعلى وهو أصل العلوم وديدنها ولأن السياق بما يحمله من معان جعله أعلى منزلة.

١١- الترقي للتكثير

ذكر الكفوي في (الكليات) فائدة الترقي في مسائل العدد فقال: " قد يعبر عن الشيء باسمه الخاص وقد يعبر عنه بمركب يدل على بعض لوازمه وذلك في العدد ظاهر فإنك تنقص عدداً عن عدد حتى يبقى المقصود وقد تضم عدداً إلى عدد كما قال الشاعر

بنت سبع وأربع وثلاث هي حتف المتيم المشتاق"[٥١]

ومن هذا النوع ما جاء عن (أبي هريرة) رضي الله عنه عن النبي قال: " الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان" فالترقي هنا جاء في كلمة بضع فقد ترقى في هذه الكلمة ليبين من خلالها فائدة الترقي عمدة القاري "وقال الطيبي الأظهر معنى التكثير ويكون ذكر البضع للترقي يعني أن شعب الأيمان أعداد مبهمة ولا نهاية لكثرتها إذ لو أريد التحديد لم يبهم وقال بعضهم العرب تستعمل السبعين كثيرا في باب المبالغة وزيادة السبع عليها التي عبر عنها بالبضع لأجل أن السبعة أكمل الأعداد لأن الستة أول عدد تام وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة إذ ليس بعد التمام سوى الكمال وسمي الأسد سبعا لكمال قوته والسبعون غاية الغاية إذ الآحاد غايتها العشرات فإن قلت قد قلت إن البضع لما بين اثنين إلى عشرة وما فوقها

فمن أين تقول إن المراد من البضع السبع حتى بنى القائل المذكور كلامه على هذا قلت قد نص صاحب (العين) على أن البضع سبعة كما ذكرنا وقال بعضهم هذا القدر المذكور هو شعب الإيمان والمراد منه تعداد الخصال حقيقة)) فالبضع بكسر الباء) الموحدة (ويجوز فتحها) وبسكون الضاد المعجمة وبالعين المهملة (وهو من الثلاثة إلى العشرة) وقيل ما بينهما وصدّر به في «شرح مسلم»، وقال الخليل: البضع سبع، وقيل ما بين اثنين إلى عشرة، وقيل ما بين اثني عشر إلى عشرين ولا يقال في اثني عشر. فان العرب قد تذكر للشيء عددا ولا تريد نفى ما سواه

فالبضع من الشيء القطعة منه"[٥٢]

١٢- الترقي للتشريف

ويكون الترقي للتشريف إذ يبدأ من الأقل منزلة ثم ينتقل إلى الأعلى بالتشريف ثم الأعلى وهذه هي القاعدة المألوفة في الترقي من الأدنى إلى الأعلى منزلة وهذا يتضح عند قوله: ﷺ ((من مُحَمَّدٍ عبد اللَّهِ وَرَسُولِهِ إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ على من اتَّبَعَ الْهُدَى"[٥٣]، فالتقديم هنا في قوله محمد بن عبدالله فقد ((قدم ذكره على رسوله ليصير من باب الترقي"[٥٤]، فقدم في كتابه وبدأ باسمه ثم ترقى له بشرف – بالعبودية وهي أشرف مقامات الإنسان أن يكون عبداً لله ثم انتقل بالترقي إلى الأشرف بالمقام وهي الرسالة وأنه مصطفى من عند الله وهذا كله ترقي له–في هذه المقامات. – فالعبودية هي تشريف للمسلم وهذا ما بينه سبحانه في كتابه العزيزوفي ذكره بعنوان العبودية مع الإضافة إلى اسم الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده لأوامره – وثنى بعد ذلك في التشريف بالرسالة الآلهية وكل هذا ترقي في مقامات التشريف ما لايخفى على ذي عينين.

١٣- الترقي في الزمان

ويكون الترقي مراعيا فيه مقام الزمان ومنه قوله ﷺ: "قال إذا مرت بك جنازة يهودي أو نصراني أو مسلم فقوموا لها" (٥٥)قال الملا علي القاري " قدم لتقدم ملتهم أو للترقي وهو الأظهر "(٥٦) فجاء الترقي هنا على الترتيب أيضاً في تقدم الملل فاليهود هم أول الملل

ثم النصارى بعدهم ثم نحن أمة الاسلام فبدأ بالأدنى من اليهود ثم النصارى ثم ترقى إلى المسلمين فأخرهم ترقياً في نضوج هذه الملة على باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى وذكر المتعاطفات على هذا النمط من باب الترقي على اعتبار عطف المفردات على بعضها أو لأن العرب إذا ذكرت متعاطفات بدأت بالأقدم فالأقدم ترقياً على الترتيب بين هذه الملل وملة الإسلام أخرها وأشرفها وبها ختمت الرسالات السماوية فعطف الترقي فيه تأسيس وعطف التدلي فيه ضرب من التأكيد وهذا ما يتبين من خلال العطف بين هذه المفردات إذ بدأ بالأساس إلى أن ترقى إلى الإسلام وهي أعلى الملل وهذا كله ترقي في أهمية الملل أو لتقدم ملة اليهود كما بين صاحب العمدة فإنما كان النسق ههنا على سبيل الترقي لأن(أو) يذهب بها إذ يقصد تعجيب المخاطب من زيادة الشيء تعظيما بعد تعظيم على ما هو أبلغ منه في المعنى. فحسن هذا لما كان هذا المذهب مناسبا لمعنى (أو) وما ينحى بها نحوه في تبيان معنى الترقي.

١٤- الترقي بالمحسوس والمعقول

الأصل بالعطف يقتضي المغايرة بين الصفات والموصوفات والأنواع لأن المعطوف يجب أن يكون مغايراً للمعطوف عليه وهذا ما نجده في حديث أم سلمة أن النبيﷺ : كان يقول في دبر الفجر أي في دبر صلاة الفجر كما في نسخة وعبارة الأذكار إذا صلى الصبح " اللهم إني أسألك علماً نافعاً وعملاً متقبلاً ورزقاً طيباً [٥٧] : قال صاحب المرقاة: "في مختصر الطيبي رحمه الله فإنه أسُّ لهما ولا يعتد بهما دونه أقول ولهذا قدم عليهما في رواية الحصن عن الطبراني في الأوسط وابن السني وفي شرح الطيبي رحمه الله إن قلت كان من الظاهر " أن يقدم الرزق الحلال على العلم لأن الرزق إذا لم يكن طيباً لم يكن العلم نافعاً والعمل إذا لم يكن عن علم نافع لم يكن متقبلاً قلت أخره ليؤذن بأن العلم والعمل إنما يعتد بهما إذا تأسسا على الرزق الحلال وهي المرتبة العليا ولو قدم لم يكن بذلك كما إذا سئلت عن رجل فقيل لك هو عالم عامل فقلت من أي معاشه فقيل لك من أوزار السلطان استنكفت منه ولم تنظر إلى علمه وعمله وتجعلهما هباء منثوراً ا هـ وحاصل السؤال أن تقديم الرزق هو المقدم حساً لكونه سبباً لتحصيلهما ولذا قدمه تعالى في مواضع من كتابه فقال ١٦ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً المؤمنون ٥١ وقال ١٦ يا أيها الذين آمنوا كلوا

من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون البقرة ١٧٢ ولذا قال يحيى بن معاذ الرازي الطاعة مخزونة في خزائن الله تعالى ومفتاحها الدعاء وأسنانه الحلال وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يقبل الله صلاة امرىء في جوفه حرام ومن المعلوم أن العلم النافع والعمل الصالح نتيجة الرزق الحلال وحاصل الجواب أن هذا الترتيب للترقي لا للتدلي ويدل عليه قوله وهي المرتبة العليا وكل واحدة منها قيد لكمال ما قبله ويشير إليه بقوله فقلت من أين معاشه ويمكن أن يجاب بأنه قدم العلم إيماء بأنه الأساس وعليه مدار الدين من الاعتقاد والأحوال وصحة الأعمال ومعرفة الحرام والحلال ثم أتى بنتيجة العلم وهو العمل فإنه لو لم يعمل بعلمه فكأنه جاهل لقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ النساء: ١٧)) فإن البغوي رحمه الله قال أجمع السلف رحمهم الله تعالى على أن من عصى الله جاهل وأقول بل أشد منه لقوله أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات."[٥٨] فالترقي هنا جاء على باب الترتيب إذ بدأ بالأساس لهذا الترقي وهو العلم ومن نتائج العلم العمل الصحيح المترتب عليه لأنه نور يقذفه الله في قلب عبده ويترتب على هذين القيدين التحصيل الحاصل عليهما وهو الرزق الطيب الحلال فهو بعد أن يعلم ويعمل يكون نتيجة رزقاً حلالاً طيباً مباركاً فيه فعطف الترقي فيه تأسيس إذ أسس لترقي هذه الصفات أساساً وبنى عليه الصفات الأخرى ترقياً في الترتيب وعلى هذا جاء العطف بالواو وعطف التدلي فيه ضرب من التأكيد وهذا ما بينه الوصل بين هذه المفردات المتلائمة في حسن نسق وترتيب.

١٥- الترتيب للترقي

ﷺ "لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة"[٥٩] قال صاحب المرقاة "واختار تأخير الثيب عن النفس مع أن الترتيب للترقي مستفاد من نقلنا إذ الزنا دون القتل وهو دون الارتداد لا يُقال الواو لا تفيد الترتيب لأنا نقول الترتيب الذكرى معتبر صحيح في كلام الحكيم الفصيح ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام ابدأ بما بدأ الله به أن الصفا والمروة"[٦٠]وذكر المتعاطفات على هذا النمط من باب الترقي على اعتبار عطف قتل النفس

على الزنا لأنه أعلى منه درجة ولما كان ترك الدين والكفر بالله تعالى جعله من أعلى المراتب فالترقي هنا بدأ بالأقل وهو الزنا ثم ميزه بالأعلى منه وهو القتل ثم ترقى إلى الأعلى منه وهو الارتداد عن دين الله فجعلها من أعلى المراتب تنقل من الشديد ذكر – صلى الله عليه وسلم – المحرمات مبتدئاً بالأسهل منها، ثم ما هو أصعب منه، ثم كذلك حتى ختمها بأعظمها وأشدها وهو الارتداد والكفر بدين الله والعياذ بالله. فإنما كان النسق ههنا على سبيل الترقي لأن يقصد تعجيب المخاطب من زيادة الشيء تحقيرا بعد تحقير مذهب من تخطى الشيء على ما هو أبلغ منه في المعنى. وقد ذكر أصحاب معاني النحو في معنى الواو أنها لاتفيد الترتيب أي "[٦١] إنها لاتأتي للترتيب البتة، بل قد تأتي للترتيب وتأتي لغيره، فقد يصح أن يكون المعطوف بعد المعطوف عليه، كما ك يصح أن يكون قبله أو مصاحباً له، فهي قد تأتي للترتيب ولا مانع من ذلك، وإنما ردنا على الذين يزعمون أنها لاتكون الا للترتيب، ولذا نرى في القرآن الكريم تقديم الشيء على الشيء في موضع ثم قد يتأخر المتقدم في موضع آخر وذلك كتقديم الضرر والنفع"[٦٢]

١٦- الترقي لمقام الترغيب

وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ: ((ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة قلنا بلى: قال إصلاح ذات البين"[٦٣] قال صاحب المرقاة "لعل تأخيرها للترقي وظاهر الواو أنه للجمع فالمعنى أنه أفضل من فعل مجموعها ويحتمل أن يكون بمعنى أو فالمعنى أنه أفضل من كل منها والأوّل أبلغ في مقام الترغيب كما لا يخفى قال الأشرف المراد بهذه المذكورات النوافل دون الفرائض قلت والله أعلم بالمراد إذ قد يتصوّر أن يكون الإصلاح في فساد يتضرع عليه سفك الدماء ونهب الأموال وهتك الحرم أفضل من فرائض هذه العبادات القاصرة مع إمكان قضائها على فرض تركها فهي من حقوق الله التي هي أهون عنده سبحانه من حقوق العباد فإذا كان كذلك فيصح أن يقال هذا الجنس من العمل أفضل من هذا الجنس لكون بعض أفراده أفضل كالبشر خير من الملك والرجل خير من المرأة " [٦٤] فالترقي هنا في هذا الباب جاء متدرجاً من الأدنى إلى الأعلى إذ بدأ بالأدنى وهو صيام النافلة ثم ترقى إلى الصدقة فإنها للمندوبة غالباً ثم ترقى إلى أعلاها منزلة وهي الصلاة

ليبين من خلال هذا الترقي عظم هذا الأمر أو هذه الصفة فلو لم نذهب إلى الفائدة المذكورة فى ذكر إصلاح ذات البين بعد الصلاة لخرجنا عن قانون البلاغة المألوف فى الكتاب العزيز وفى كلام العرب الفصيح وهو الترقى من الأدنى إلى الأعلى لا النزول على العكس فالصفة قد تذكر لتعظم فى نفسها ولينوه بها إذا وصف بها عظيم القدر كما تذكر تنويها بقدر موصوفها الذي اتصف بها وجيء بتأخيرها هنا لأن المقام مقام ترغيب في إصلاح ذات البين وهذا ما أكده وبيناه سابقاً من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية أن الرسول صلى الله عليه وسلم يرغب بالشيء بأعلى صفاته.

المبحث الثاني : التدلي

مما تقدم سابقاً بينا أن الصفات محلها الترقي دائما، وأما الموصوفات فعلى العكس من ذلك فإنك تبدأ بالأفضل فتقول قام الأمير ونائبه وكاتبه قال تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها الآية فقدم الخيل لأنها أحمد وأفضل من البغال وقدم البغال على الحمير لذلك أيضا والانتقال من الأعلى إلى الأدنى لا يكون الا لغرض بلاغي يحدده السياق فهو لايقل شأناً عن القسم الأول وهو مقترن به دائما فالصفات والأحوال وعطف الجمل إذا جاءت على هذا النوع فلا بد من وجود دواع بلاغية اكتنفت الجمل أو المقام لحال المخاطبين والتدلي في الحديث الشريف هو أقل أمثلة من النوع الأول فيما وقفت عليه فمن أمثلة هذا النوع:

١- التدلي لتصوير مقدار الرحمة

برزت جمالية التدلي في طبيعة التراكيب المتداخلة فالألفاظ في التراكيب تتداخل معانيها وهذا من إبداع اللغة العربية على المستوى التركيبي اللغوي إذ تنسجم هذه الظاهرة العكس إذ تبدأ من الأعلى إلى الأدنى منزلة لغرض يفهم من السياق وقرائن الأحوال الذي يقتضيها السياق ومراد المتكلم في إفهام المخاطب ومنه قوله ﷺ -:"عن أنس عن النبي- ﷺ- قال يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير"[٦٥]، وهذه اللطيفة انبرى لها العيني في عمدته حينما عرض السؤال ليزيد في لباب

الإفهام عن هذا التقديم في حديثه صلى الله عليه وسلم فيجيب بقوله: "سؤال لم قدم الشعيرة على البرة أجيب لأنها أكبر جر ماً منها ويقرب بعضها من بعض وأخر الذرة لصغرها وهذا من باب الترقي في الحكم وإن كان من باب التنزيل في الصور فافهم"[٦٦]لعظم هذه الكلمة وهي كلمة التوحيد لااله إلا الله والتي لأجلها خلقت السموات والأرض وأرسلت الرسل فجاء الحديث النبوي مبيناً الحكم الإلهي فيمن قالها خالصاً يبتغي وجه الله حيث بدأ الحكم بالشعيرة لأنها أكبر فيخرج أولاً ثم بالبرة وهي أقل ثم ثلث بالذرة وهي أصغر كل شي وهذا ترقي من الشعيرة ثم ميز بالأقل وهي البرة ثم مثل بالأدنى وهي الذرة ليترقى في الحكم وإن كان للرائي أن الصورة صورة تنزيل ليفهم الحكم وهذه هي ميزة البلاغة في تبيان الحكم النبوي وفقهه والله أعلم. فبدأ من الأعلى نزولاً إلى الأدنى في الصورة

٢- التدلي للتعجيز

ومن ألوان أسلوب التدلي مقام التعجيز وهذا ما جاء في قولهﷺ: " قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي (فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة"[٦٧] أي ولا أحد أظلم ممن قصد أن يصنع كخلقي وهذا التشبيه لا عموم له يعني كخلقي من بعض الوجوه في فعل الصورة لا من كل وجه واستشكل التعبير بأظلم بأن الكافر أظلم وأجيب بأنه إذا صور الصنم للعبادة كان كافرا فهو هو ويزيد عذابه على سائر الكفار بقبح كفره (فليخلقوا ذرة) بفتح المعجمة وشد الراء نملة صغيرة (أو ليخلقوا حبة) بفتح الحاء أي حبة بر بقرينة ذكر الشعير أو هي أعم (أو ليخلقوا شعيرة) والمراد تعجيزهم تارة بتكليفهم خلق حيوان وهو أشد وأخرى بتكليفهم خلق جماد وهو أهون ومع ذلك لا قدرة لهم عليه "وفيه نوع من الترقي في الخساسة ونوع من التنزل والإلزام وحكي أنه وقع السؤال عن حكمة الترقي من الذرة إلى الحبة إلى الشعيرة فأجاب التقي الشمني بديهة بأن صنع الأشياء الدقيقة فيه صعوبة والأمر بمعنى التعجيز فناسب الترقي من الأعلى للأدنى فاستحسنه الحافظ ابن حجر "[٦٨]، وقدم ذكر الذرة التي هي النملة الصغيرة على البر على الشعير على طريقة التدلي من الأقل إلى الأعظم، لأن الذر أصغر حجما من البر، والبر أصغر حجماً من الشعير وخفاياه أكثر وأعظم، وخصهما

بالذكر لأنه تحداهم واعجزهم على أن يخلقوا ولو شيئاً من هذه المخلوقات على صغر حجمها فهو أمر تعجيز

ذكرنا سابقاً أن صفات المدح ينبغي أن تذكر من الأدنى إلى الأعلى إذا كان الموضوع هو الترقي في سياق الإثبات، أما في سياق النفي فالمسألة على العكس ؛ لأن من عادة العرب في سياق المدح الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم: فلان عالم نحرير. لأن ذكر الأعلى أولاً، ثم الأدنى، لم يتجدد بذكر الأدنى فائدة، بخلاف عكسه [٦٩] ولكن السياق والنظم النبوي الشريف يقتضي عكس ذلك لفائدة ونكتة، فتأتي الصفات بطريقة التدلي وهو ما جاء في قوله:

"لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهْوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهْوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ."(٧٠) قال البكري ((من باب التدلي من الشريف إلى المشروف، وعكس في الحديث قبله من باب الترقي، أو لأن ذلك سبق للحضّ على الاشتغال بالقرآن فقدم في كل ما سبق له الحديث وذكر الآخر بالتبع، أو أن ذلك على وجه التفنن في التعبير، وعبر هنا بالقرآن الذي هو منبع العلوم ومعدنها وأصلها ومكمنها، قال تعالى} :ما فرطنا في الكتاب من شيء) {الأنعام: ٣٨ (وقال تعالى} :والكتاب المبين {)الدخان: ٢(أي لكل شيء محتاج إليه كما يؤذن به حذف المعمول، لأنه الأصل، وثم بالحكمة المراد بها العلم الشرعي على قوم لعموم حاجة الناس في معاشهم ومعادهم إليه وكمله بقوله في الحق أي في الطاعات ليزيل عنه إيهام الإسراف المذموم"[٧١]. ومن الأمثلة الأخرى لهذا النوع قوله صلى الله عليه وسلم: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده "[٧٢] فالتدلي جاء هنا على حسب الكثرة فإنه لما قدم اللسان على اليد بسبب أن ايذاء اللسان أكثر وقوعاً واسهل أو لأنه اشد نكاية فجاء التدلي من الأعلى في الشدة إلى الأدنى في التحصيل أو لأن الثاني لا يتحصل إلا بسبب من الأول لأن الأذى يحدث منه أولاً ثم يحدث أذى اليد بسببها أو لأن حركة اللسان بالكلام أعظم حركات الجوارح وأشدها تأثيراً في الخير والشر والصلاح والفساد بل عامة ما يترتب في الوجود من الأفعال إنما ينشأ بعد حركة اللسان فكان تقديم الصفة المتعلقة به أهم وأولى وبهذا يعلم تقديمه على اليد لأنه أشد نكاية من الضرب فجاء التدلي على حسب الكثرة والله اعلم

٣- التدلي لإظهار المرتبة

الانتقال من الأعلى إلى الأدنى (التدلي) فإنه لايكون الا لغرض بلاغي يحدده السياق ومنه قوله ((عن مصعب بن سعد : عن أبيه قال: يا رسول الله من أشد الناس بلاء ؟ قال: " الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يدعه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة " جاء الترتيب هنا في هذا الحديث الشريف (على سبيل التدلي) أي التنزل من الأعلى في المقام إلى من دونه في المرتبة على الذي هو دونه في الترتيب فالأنبياء أعلى مقاماً لأنهم هم الذين اصطفاهم الله تم تدلى على الذين من دونهم وهم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل ثم على من أقل منهم مرتبة وعلل هذا التدلي بقوله يبتلى المرء على حسب دينه فإن كان في دينه شدة زيد له في البلاء وحاصله: أنه أراد تقرب أحدها إلى الآخر في الأشدية فإن بعض أقسام أحد القسمين يترتب في الأشدية على بعض أقسام الآخر دون أقسام النوع الآخر والأوضح في العبارة: مكانها بحسب الشدة والضعف، إذ لا أشدية للأخير ويُدفع بأن هذه عبارة مشهورة بين البلغاء، بقي أن ننبه على مسألة ثم) العاطفة فليست ههنا تراخ في الزمان بين الابتلاء، وإنما التراخي في الوصف فجاء بعد الأنبياء بـ (ثم) لأن التفاوت كبير بين الأنبياء وغيرهم، وجاء فيمن بعدهم بالفاء لأنهم قد يتقاربون في الأمثلية [٧٣] فقدم الأبلغ في الوصف لأنه أخص مما دونه ومشتملاً على مفهومه فتعين هناك طريقة الترقي إذ لو قدم الأدون كان ذكر الآخر عارياً عن الفائدة وإذ لم يكن الأبلغ مشتملاً على مفهوم الأدنى فإنه يجوز كل واحد من طريقي التتميم والترقي نظراً إلى مقتضى الحال والله أعلم.

٤- التدلي في المراتب

ويكون الترقي في الإثبات من الأدنى إلى الأعلى وفي النفي على عكس ذلك إذ لا يلزم من فعل الأدنى فعل الأعلى بخلاف النفي فهو عادة ما يكون تنزلاً في الموصوفين ومن ذلك قولهﷺ ((لايقص الا أمير أو مأمور او مختال))[٧٤] فالتدلي بدأ بالموصوفين من الأمير نزولاً بالمأمور والمأمور هو من يقيمه الأئمة خطيبا والمختال الذي نصب نفسه من غير أن يؤمر رياء فتدلي الموصوفين فيمن يقصون على الناس وهذه هي اصنافهم تدلياً كما تقول قام الأمير ونائبه وهذا يدلي على التدلي في الرتبة والمنزلة كما أشير إليه سابقاً

وتتجلى دلالة التدلي وجماليته في حث المخاطبين ومراعاة أحوالهم في قوله ﷺ عن التبكير في يوم الجمعة وماذا يفعل الملائكة عند أبواب المساجد فقال (يكتبون الأول فالأول) قال الطيبي: "أي الداخل الأول. والفاء فيه، و"ثم" في قوله: "ثم كالذي يهدي بقرة" كلتاهما لترتيب النزول من الأعلى إلى الأدنى، لكن في الثانية تراخ ليس في الأولى"[٧٥]فجاء بـ (ثم) لتراخي الأجور وتباعدها في الفضيلة والرتبة عن ترتيب تبكيرهم في حضور الوقت الأول. لأن الملائكة تكتب للأول وهو السابق المقدم على غيره، فهو تأكيد للعطف وهذا ما أفصح عنه التدلي في منزلة الأجور ولهذا جاء بالتشبيه في المهدي الهدية من حيث نوعها فكذلك ابرز التشبيه جمالية التدلي من الأعلى إلى الأدنى أن التهجير هو كمثل الذي يهدي بدنه، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كبشا، ثم دجاجة، ثم بيضة وعلى هذا اعتمد التنقل من الأثمن إلى الأقل لغرض التنويع والبشارة للمبكر على سبيل التدلي المعنوي.

٥- التدلي في الخيرية للتسلية

ويزداد تلاحم الجمل وحسن تناسقها حينما تتناول موضوعاً بعينه ومنه قوله ﷺ: خير الناس قرني ثم الذين يلونه ثم الذين يلونه"[٧٦] ، فالخيرية على سبيل الترقي والشرية على سبيل التدلي ، فكل زمان الذي قبله خير منه وكل زمان الذي بعده شر منه ، في الجملة أي إذا استثنين جيل الصحابة فالأزمنة والقرون التي بعدهم يوجد في المتأخر وإن كان الأقل خير من بعض ما تقدم فالتفضيل إجمالي. يعني بمعنى من يوجد في القرن الخامس عشر أفضل مما وجد في القرن العاشر لكن الجيل كامل بالنظر إليه إجمالا لا يمكن أن يكون القرن أفضل من الذي قبله ،"[٧٧] والتدرج في انقراض الخير سنة إلهية ولا شك أن في مثل هذا تسلية وأفعل التفضيل تأتي على سبيل الإجمال والمراد بالتفضيل مجموع العصر على مجموع العصر وهذا ما اشار اليه الشاعر بقوله: يا زماناً بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه ولقد جرت عادة الله تعالى بالابتلاء بالمصيبة ثم بأشد منها، وذلك ليتدرج العبد من الأخفّ إلى الأشد، إذ لو فاجأه الأشد ابتداء ربما عجز عن حمله بخلافه بعد التدرّج من الأخف إليه. فالخيرية جاءت متدرجة على سبيل التدلي من الأعلى منزلة في الخير إلى الأدنى وهكذا على هذا المنوال.

٦- التدلي في الرتبة لإظهار الأكمل

ويرد التدلي مقترناً بالدعاء لإظهار رتبة الموصوف الأكمل ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : "رحم الله المحلقين ثلاثا والمقصرين قال والمقصرين "[٧٨] فموطن التدلي هنا واضح في انتقاله من المحلقين إلى المقصرين وقد روعي في السؤال فيها قضية التدلي في الرتبة من الأجر والمراد من الجملة الثانية التدلي في قلة الأجر في الرتبة بين المحلقين فالمقصرين وكلاهما مع تعدد الموصوف والترتيب الرتبي إما باعتبار الترقي أو باعتبار التدلي وهي إذا كانت الذات المتصفة بالصفات هنا واحدة وكلاهما مع تعدد الموصوف، والترتيب الرتبي دل على ذلك وتتجلى دلالة التدلي وجماليته في تقديم ذكر المحلقين على المقصرين لأن الحلق أكمل وأبلغ في ترك الشيء من أجل الله وقربة إلى الله عز وجل ولذا دعا لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالرحمة ثلاثاً.فالمحلقون أفضل من المقصرين فبدأ بهم بحسب ترتيبهم في الفضل فدلت على ترتيب موصوفاتها من الأعلى رتبة إلى الأدنى منزلة في تحصيل الرحمة. وعلى هذا الاساس يتضح أن نشاط السياق في بلاغة النص العربي سواء بين المفردات والجمل هو الكاشف لبيان ميزة الجمال اللغوي في ترقي هذه المفردات والجمل أو تدليها على وفق ورودها بحسب المقام والسياق فهو احساس بالتناسق الممتع بين هذه المفردات

ومن أمثلة هذا النوع قوله ﷺ: "أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ ما كان قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ ما كان قَبْلِهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ ما كان قَبْلَهُ"[٧٩] فموطن الشاهد في الحديث الشريف (وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله) قال المناوي: "الترقي فإن قوله الحج يهدم ما قبله أبلغ في إرادة المبالغة من الهجرة لأنه دونها فإذا هدم الحج الذنوب فبالأولى أن يهدمها الهجرة لأنها مفارقة الوطن والأحباب "[٨٠]فجاء بتكرير يهدم في كل من الخصال دلالة على استقلال كل منهما بالهدم وتخليصه من الذنوب، فالتدلي في ذكر الموصوفات أفاد أسبقية كل واحدة من هذه الموصوفات على وفق الأهمية والترتيب ذكراً في أعلاها مرتبة وأهمية في تقديم بعضها على بعض

ويتحفنا الطيبي عن دلالة جامعة بين هذين المصطلحين لنجعلها خاتمة مسك لهذا البحث البلاغي الماتع إذ يذكر في خاتمة كتابه التبيان في البيان تحليلاً لحديث شريف يورد فيه

الترقي والتدلي وهذا الحديث يأتي فيه ذكر الصلاة مرتين في سياقين مختلفين مما يدل هذا التغاير في السياق على أهمية ومراعاة السياق النبوي والمقام ومدى التباين في التقديم وهذا يتضح في إيراده لقوله ﷺ " وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت " أما السياق الثاني جاء بقوله: " رأس الأمر الاسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد " قال الطيبي: في الترقي: قدم أولاً الصلاة على الزكاة وعلى الصوم وعكس ثانياً لأن الأول سيق لأمر الدين فقدم ما هو الأهم فالأهم، فالتدلي أولى والثاني لتكميله والترقي أحرى " (٨١).

النتائج التي عالجها البحث

١. أفصح البحث عن ثنائية من ثنائيات اللغة العربية وأن هذا الأسلوب من أساليب العربية في أنها تتدرج من الأعلى إلى الأدنى وعلى العكس من الأدنى إلى الأعلى
٢. بين البحث أن الترقي يكون في الصفات وهذه طريقة قد عرفت عن العرب واستفاضت في كلامهم أما الموصوفات فغالب ما يكون أمرها تدلياً من الأعلى إلى الأدنى وهذا ما وضح وتبين.
٣. ٣-وضح البحث أن الترقي يكون فيه عطف التأسيس وعطف التدلي فيه ضرب من التأكيد
٤. ٤-الترقي في الإثبات يكون من الأدنى إلى الأعلى وفي النفي على عكس ذلك إذ لا يلزم من فعل الأدنى فعل الأعلى بخلاف النفي لكن قال المحققون هذا إذا كان على ظاهره فإن كان كناية عن العموم كما هنا
٥. أكد البحث على تمازج الفنون البلاغية فيما بينها وأنها وسائل وليست غايات لأنها أدوات في كشف الميزة الجمالية للأسلوب النبوي البليغ وهو موظفة لخدمة المعنى المنشود منها إذ المعاني اكتنفت هذه الفنون والمقصد هو المعنى.

هوامش البحث:

(١) البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها : ٢/ ٤٥٨.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ١٠١.

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ١٠٣.

(٤) المثل السائر ابن الأثير ١/ ٧٩.

(٥) معجم مقاييس اللغة مادة رقى ٢/ ٤٢٦.

(٦) لسان العرب مادة (رقا) ٣٧٨/١.

(٧) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي ٣٨٢.

(٨)عروس الأفراح ٢/ ٤١١.

(٩) عقود الجمان ١٧٣.

(١٠) لسان العرب مادة (دلا) ١٤/ ٢٦٤.

(١١) الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٤٦.

(١٢) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٤٠٦

(١٣) المصدر نفسه ٣/ ٤٠٦.

(١٤) المصدر نفسه ٣/ ٤٠٦.

(١٥) كتاب الصناعتين ١٦٧.

(١٦) المثل السائر ٢/ ٢٩-٣٢.

(١٧) المصدر نفسه ٢/ ٣٠.

(١٨) المصدر نفسه ٢/ ٣١.

(١٩) المصدر نفسه ٢/ ٣١.

(٢٠) المصدر نفسه ٢/ ٣٢.

(٢١) ينظر بديع القرآن ١٥٨.

(٢٢) سنن الترمذي: ٤/ ٦٥٢.

(٢٣) سنن النسائي ١/ ١٠٢.

(٢٤) شرح السيوطي لسنن النسائي ١/ ١٠٣.

(٢٥) سنن الترمذي ٣/ ٣٤١.

(٢٦) فيض القدير ١/ ٤٤٠.

(٢٧) سنن الترمذي ٤/ ١٨٤.

(٢٨) فيض القدير ٣/ ٣١٧.

(٢٩) سنن الترمذي ٣/ ٣٧٧.

(٣٠) تحفة الأحوذي ٤/ ١٤٦.

(٣١) سنن البيهقي ٧/ ١٩٨.

(٣٢) فيض القدير: ٦/ ٣١.

(٣٣) صحيح مسلم ٨/ ٨٢.

(٣٤) مشكاة المصابيح ٨/ ٢٤٠.

(٣٥) صحيح البخاري ١/ ٢٠

(٣٦) عمدة القاري ١/ ٢٩٢.

(٣٧) سنن أبي داود ٣/ ٣٢٧.

(٣٨) عون المعبود ٩/ ٣٦٠.

(٣٩) فيض القدير ٣/ ٢٠٢.

(٤٠) مسند أحمد بن حنبل ٣/ ٨.

(٤١) مرقاة المفاتيح ٧/ ٣٨٢.

(٤٢) صحيح البخاري ١٠ / ١١.

(٤٣) فتح الباري ١١/ ٢٥٤.

(٤٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ٤٦٥.

(٤٥) سنن الترمذي ٥/ ٥٧٥.

(٤٦) فيض القدير ٢/ ١١٠.

(٤٧) فيض القدير ٣/ ١٠٨.

(٤٨) سنن الترمذي ٥/ ٥٤٢.

(٤٩) فيض القدير ٤/ ٥٢١.

(٥٠) مرقاة المفاتيح ١/ ٤٨٥.

(٥١) الكليات ١٦٧٥.

(٥٢) عمدة القاري ١/ ١٢٧

(٥٣) صحيح البخاري ١/ ٩.

(٥٤) الكواكب الدراري ١/ ٦١.

(٥٥) مسند أحمد بن حنبل ٤/ ٣٩١.

(٥٦) مرقاة المفاتيح ٤/ ١٤٨.

(٥٧) مسند أحمد بن حنبل ٦/ ٢٩٤.

(٥٨) مرقاة المفاتيح ٥/ ٤١٢.

(٥٩) سنن الترمذي ٤/ ١٩.

(٦٠) مرقاة المفاتيح ٧/ ٦.

(٦١) مرقاة المفاتيح ٧/ ٦.

(٦٢) معاني النحو ٣/ ١٨٨.

(٦٣) سنن أبي داود ٤/ ٤٣٢.

(٦٤) مرقاة المفاتيح ٩/ ٢٤٠.

(٦٥) صحيح البخاري ١/ ٢٤.

(٦٦) عمدة القاري ١/ ٢٦١.

(٦٧) صحيح مسلم ٦/ ١٦٢.

(٦٨) فيض القدير ٤/ ٦٣١.

(٦٩) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ٩.

(٧٠) صحيح البخاري ١/ ٢٨.

(٧١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٤/ ٤٨٧.

(٧٢) صحيح البخاري ١/ ٩.

(٧٣) معاني النحو ٣/ ٢١١.

(٧٤) سنن أبي داود ٢/ ٣٤٧.

(٧٥) مرعاة المفاتيح مع شرح مشكاة المصابيح ٤/ ٤٦٠.

(٧٦) صحيح البخاري ٣/ ٣٢٤

(٧٧) شرح البخاري لعبد الكريم الخضير ١/ ٤٤.

(٧٨) صحيح البخاري ٢/ ٢١٣.

(٧٩) صحيح مسلم ١/ ١١٢.

(٨٠) فيض القدير ٢/ ١٦٧.

(٨١) التبيان في البيان ٤٤٥.

المصادر

١. البخاري بشرح الكرماني ، المسمى الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني (ت٧٨٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط/٢ ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م

٢. البُرْهَان في عُلُوم القُرآن، لبدر الدِّين مُحَمَّد بن عبد الله الزَّرْكَشِيّ(ت٧٩٤هـ)، تَحقِيقُ: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المَعْرِفَة، بيروت–لُبنان، ط١، ١٣٩١هـ.

٣. البلاغة اسسها وعلومها وفنونها، تأليف عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني دار القلم دار الشامية دمشق ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٤. بديع القرآن، لابن أبي الإصبع العدواني المصري (ت٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق د. حفني محمد شرف، مطبعة ومكتبة نهضة مصر بالفجالة، ط/١، ١٩٧٥م.

٥. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (١٢٣٣هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٦. التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، لشرف الدين حسين بن محمد الطيبي (ت٧٤٣هـ) ، تحقيق وتقديم د. هادي عطيه مطر الهلالي ، مكتبة النهضة العربية – بيروت ، ط/١ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٧. التبيان في البيان، شرف الدين حسين بن محمد الطيبي (ت٧٤٣هـ) ، تحقيق توفيق الفيل، وعبداللطيف لطف الله، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٨. التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الجرجاني تحقيق: إبراهيم الأبياري الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥

٩. الجامع الصحيح المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) حسب ترقيم فتح الباري الناشر: دار الشعب – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

١٠. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت

١١. الجامع الصحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٢. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ)

١٣. : سنن البيهقي الكبرى المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: مكتبة دار الباز – مكة المكرمة، ١٤١٤ – ١٩٩٤.

١٤. : سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، كتب حواشيه: محمود خليل، الناشر: مكتبة أبي المعاطي

١٥. سنن أبي داود،: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الناشر: دار الكتاب العربي . بيروت.

١٦. [سنن النسائي] المجتبى من السنن المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

١٧. شرح السيوطي لسنن النسائي، المؤلف: عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

١٨. شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، للسيوطي، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٨هـ /١٩٣٩م، د. ط٠

١٩. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ)، تحقيق د. خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٢٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٢١. عون المعبود شرح سنن أبي داود: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار النشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة الطبعة: الثانية، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م

٢٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى ط١– مصر – ١٣٥٦هـ.

٢٣. الكاشف عن حقائق السنن شرح الطّيبي على مشكاة المصابيح، شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطّيبي(ت٧٤٣هـ)، إعداد: محمد علي سمك، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م٠

٢٤. كتابُ الصِّنَاعَتَينِ(الكتابة والشعر)، لأبي هلال العسكريّ، تَحقِيقُ: علي مُحَمَّد البجاويّ، ومُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العَربي، القَاهِرَة–مِصْر، ط٢، ١٩٧١م.

٢٥. كتاب الكليات . لأبى البقاء الكفومى،تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي،تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٢٦. لسان العرب،: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة الأولى.

٢٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة.

٢٨. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح المؤلف: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ) الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند،الطبعة: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م

٢٩. . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت الطبعة: الأولى، – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٣٠. معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، الطبعة الثانية دار الفكر عمان – الأردن، ٢٠٠٣.

٣١. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت٣٩٥) تحقيق عبدالسلام محمد هارون ن دار الفكر، (د.ط) ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٢. منهاج البلغاء وسراج الأدباء أبي الحسن حازم بن محمد القرطاجني (٦٨٤هـ) تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الطبعة الثالثة دار الغرب الاسلامي بيروت ٢٠٠٧.

RELEGATION

Promotion and relegation in hourable hadeath aims at showing aspect of arts in order to show many meanings and add beauty on it so this intervention makes the borders between rhetoric arts easy to the meaning , If there is a shortage of meaning that leads to a shortage of sensation and beauty o f art.

Vocabuiaries in Arabic comes whether promoted from bottom to top to show more meaning of what the speaker aims in context or comes relegted to show less meaning of what the speaker wants to imaginc. this subject is the key to discover evidence of prophetic texts and take rhetoric bea uty away.